

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى
[الأول/ الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له
والدليل قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} ، ومنه: الذبح
لغير الله كمن يذبح للجن أو القباب] .

هذا أول النواقض وهو أشدها وأعظمها عند الله
ذنبا كما في صحيح البخاري رحمه الله عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال [سألت النبي صلى الله عليه
وسلم : أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : (أن تجعل
لله نداً وهو خلقك) ! ، وهذا الناقض لشدة جرم
صاحبه جعل له من الخصوصية ما ليس لغيره من
النواقض ، فمن ذلك أن من وقع في الشرك يكفر
مباشرة حتى ولو لم تبلغه حجة ولم يبعث إليه
نبي ! ، فإن الله جل جلاله أقام على التوحيد من
الحجج ما لم يُقم على غيره ، حتى غدا توحيد
الله أوضح الواضحات التي لا يستقيم في عقول الناس
سواها !

وليس يصح في الأذهان شيء .. إذا احتاج النهار
إلى دليل

وصار الشرك أقبح القبائح يستنكره الصغير قبل
الكبير وصاحبه متهم في عقله وإلا لما رضىه
لنفسه ! ، فإن الله قد أقام على التوحيد سبع حجج
قاطعة للمشركين ، ستة منها يستوي فيها الناس
جميعا والسابعة قد تتخلف عن البعض ، وإليك
بيانها :-

فأول الحجج التي أقام الله على التوحيد/
"الميثاق" الذي أخذه ربنا على الناس في وادي
النعمان حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم فأشهدهم
على أنفسهم فأقروا له بالربوبية وأخذ عليهم
العهد أن لا يشركوا به شيئا ، قال قتادة رحمه
الله [ذكر الله الميثاق في بضع وعشرين آية نصيحة

لكم وتقدمة إليكم وحجة عليكم] رواه ابن أبي حاتم ، فمن ذلك قول الله جل وعلا {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَيَّاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} قال أبي بن كعب رضي الله عنه وهو الذي أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليه "سورة البينة" والتي هي في موضوعنا هذا -حجج التوحيد- فكان أفقه الناس فيه ! قال رضي الله عنه في هذه الآية [أخرجهم سبحانه وتعالى جميعا فجعلهم أرواحا في صورهم ثم إستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم ؟ قالوا: بلى ! ، قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة: إنا لم نعلم بهذا ! ، إعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري فلا تشركوا بي شيئا ، وإني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي هذا وأنزل عليكم كتبي ، قالوا: شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك ، فأقروا ورفع عليهم آدم ينظر إليهم] أخرجه عبد بن حميد وعبدالله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند وإبن أبي حاتم وإبن جرير ، وفي قوله جل وعلا {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} قال أبي رضي الله عنه [صاروا يوم القيامة فريقين ، فقال لمن إسود وجهه وعيّرهم {أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} ، قال: هو الإيمان في زمان آدم حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم وأقروا كلهم بالعبودية] أخرجه البيهقي في القضاء والقدر ، ومن ذلك أيضا قول الله تعالى {وَأَوْحِيْ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ

يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ} أي لن يؤمن إلا من قد آمن إيماناً
صادقاً في وادي النعمان يوم أخذ الميثاق لأن
أهل الكفر أقروا يوم الميثاق بالسنتهم وهم
كاذبون! كما قال تعالى {تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ
مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ
عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ} قال أبي بن كعب رضي الله عنه
[كان في علمه يوم أقروا بالميثاق من يكذب به
ومن يصدق] ! .

الحجة الثانية/ الفطرة التي فطر الله الناس
عليها : وفي الحديث القدسي يقول ربنا جل وعلا
[إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُنَفَاءَ كُلَّهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ
الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ
مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ
أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا] رواه مسلم ، وقد ذكر الله هذه
الحجة من حجج التوحيد في مواضع من كتابه فمن
ذلك قوله تعالى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ
اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ
الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} وعن
أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال [ما من مولودٍ إلا يُولَدُ على الفطرة،
فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما
تُنتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاءً، هل تحسُّونَ فيها من
جدعاء . ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه : {
فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} الآية] متفق
عليه ، ويدخل في هذا كل آية في كتاب الله ذكر
فيها فطر الله للناس كقوله عز وجل {وَمَا لِي لَا
أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} وغيرها من
الآيات ، ويعبر القرآن أيضاً عن الفطرة
بـ"الصبغة" و"الصراط" و"السبيل" فكلها
كلمات تدل على معنى واحد .

الحجة الثالثة/ العقل: وهو غريزة الأفئدة
فمحلها القلب! كما قال تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي

الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى
الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ، والقلب بمنزلة
المصباح وقد جعل الله لهذا المصباح وقودا وأدوات
تعين على إشعاله وإضاءة نور الحق فيه ، فمن
عطل هذا المصباح عن عمله وأعرض عن إيقاد نور
الحق فيه كان جزاءه أن يصغى قلبه للباطل كما
قال تعالى {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} وأعظم الرجس
"الشرك" ، وقال {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ
جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ
وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (109)
وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ
مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} وفي هذه الآية
الجمع بين "الميثاق" و "العقل" ، وفي كتاب الله
كثيرا ما يحتج الله على المشركين بالعقل كما في
قوله تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام
{قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
يَضُرُّكُمْ (66) أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ} ومثل هذا كثير في القرآن ، قال
تعالى {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ
وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى
عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ
كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ} وهذه الآية جمعت حجج التوحيد السبعة
كلها فقالت "يجحدون بآيات الله" ، والسمع والبصر
هما الممر والفؤاد هو المقر الذي يضيء فيه
نور الحق ولذلك كانت حجج التوحيد لا تخرج عن
كونها سمعية أو بصرية عقلية فمن عطل عقله
عنها عذب على شركه وعذب على كفرانه بهذه
الحجج المتضافرة على التوحيد فيضاعف له
العذاب كما كان يبصرها ويسمع بها فيعرض عنها
قال تعالى {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا
عُوجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (19) أُولَئِكَ لَمْ
يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ

مِنْ أَوْلِيَاءِ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا
يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} فمضاعفة
العذاب لأن {السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ
كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} ! ، ولما كان سبب كفر
الكافرين هو تعطيلهم للعقل وإعراضهم عن سماع
الحق والاستجابة له كما شهدوا هم على أنفسهم
{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
السَّعِيرِ} ، كان الجزاء من جنس العمل قال تعالى
{وَيُلْ لَّكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٍ (1) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ
(2) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (3) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي
الْحُطَمَةِ (4) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (5) نَارُ اللَّهِ
الْمُوقَدَةُ (6) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ} فلما
أطفأوا نار الحق من قلوبهم في الدنيا جازاهم
الله بنار موقدة تطلع على الأفئدة ، وقال عز وجل
{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا
يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42) مُهْطِعِينَ
مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ
هَوَاءٌ} لفراغها في الدنيا من الحق !

الحجة الرابعة / الواعظ في قلب ابن آدم ! :
فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم [إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بَابِنِ آدَمَ وَلِلْمَلِكِ
لَمَّةً : فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ ، فإِيعَادُ بِالشَّرِّ ،
وَتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ ، فإِيعَادُ
بِالْخَيْرِ ، وَتَصْدِيقُ بِالْحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ
أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ الْآخَرَى ، فَلْيَتَعَوَّذْ
بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، ثُمَّ قَرَأَ : {الشَّيْطَانُ
يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً
مِنْهُ وَفَضْلًا} رواه الترمذي ، وقال تعالى {إِنَّ
الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} وقال {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ
وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً} .

الحجة الخامسة / آيات الله في الأنفس : فقد أودع
الله في الأنفس آيات تدل على التوحيد وتأخذ بخناق

كل مشرك ، وهذه الآيات هي وقود المصباح ، فمن أوجه دلالة الأنفس على التوحيد :

1 خلق الإنسان! : فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال [سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيِّطِرُونَ } كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ!] رواه البخاري .

2 إقرار المشركين بتفرد الله بالربوبية! : فإن الله يحتج عليهم بذلك فيقول {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} وقال جل وعلا {قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} .

3 رجوع المشرك عن الشدائد للتوحيد الذي كان يخفيه في الرخاء! ومن هنا سمي الشرك كفرا لأن الكفر في اللغة هو الستر والتغطية ولما كان المشرك متيقن في قرارة نفسه من وحدانية الله جل في علاه إلا أنه يكتُم ذلك من نفسه ويغطيه في حال الرخاء كان كافرا قال تعالى {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} وقال {بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}!

4 شعور كل مشرك بالخزي والمهانة إذا سئل عن صفات معبوده من دون الله! ، ولذلك قال تعالى محتجا على المشركين بذلك {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ} أي بينوهم لنا وصفوهم! ؟ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا

يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ (73)
مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ .

5 + أن المشرك لا دليل له على شركه ! فحتى لو
إحتج بجهله يقال له : إن جهلت فتعذر في
ترك العمل فلا يجب عليك صيام مثلا ولا صلاة
ونحو ذلك لكن إتيانك للشرك ما حجتك فيه
؟! { إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ
وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ
جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى } { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } .

6 كون الإنسان لا يرضى الشرك لنفسه فكيف
يرضاه لربه !؟ : قال تعالى {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا
مَنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ
شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ
تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (28) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا
لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } .

الحجة السادسة / آيات الله في الآفاق ، كما قال
القائل :

وفي كل شيء له آية .. تدل على أنه واحد !

قال تعالى {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي
أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهَ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ
أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} فمن آيات الآفاق :-

1 + لأربعة المذكورة في قوله تعالى {سَبَّحْ اسْمَ

رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي
قَدَّرَ فَهَدَى} ومعنى "سبح" أي نزه ربك الأعلى
عن الإشارك به فهو الذي فعل هذه الأربعة :
أما [الخلق] فقد قال جل وعلا في الموحدين
{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى
جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ} ، وأما [التسوية] فقد قال جل وعلا
فيها {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ
(6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} وقال {ذَلِكَ

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (6)
الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ
مِنْ طِينٍ} ، وأما [التقدير] فقد قال فيه
عز وجل {خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} وقال
{قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} ، وأما

[الهداية] فيقول الله جل وعلا عن إبراهيم
الخليل {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ
ثُمَّ هَدَى} وقال عليه السلام أيضا {أَفَرَأَيْتُمْ
مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ
الْعَالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ} .

2 - العناية بالآدميين خاصة ! ، قال تعالى {قُلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى} اللَّهُ
خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا
شَجَرَهَا أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60)
أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا
وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا
أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) أَمَّنْ
يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا
تَذَكَّرُونَ (62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}
{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ
نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ
أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61)
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ

(62) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ
تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاءُ
لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا
لَمُغْرَمُونَ (66) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (67) أَفَرَأَيْتُمْ
الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ
مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ
جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70) أَفَرَأَيْتُمْ
النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ
شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا
تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (73) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الْعَظِيمِ { أي نزهه عن كل شرك ونقص .

3 تسبيح المخلوقات له! قال تعالى {أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} .

4 حمدها له! كما قال تعالى {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ
فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} {وَيُسَبِّحُ
الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ} .

5 هجودها له! ، قال تعالى {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى
مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ
وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ (48) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} ، وقال {وَلِلَّهِ
يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} فهما بلغ كفر
الكافر وطغيانه فإنه لا يملك أن يمنه ظله
من السجود للذي خلقه! وهذا من إذلال الله له
.

6 ها أنزل الله بالأمم السابقة من عذاب بسبب
كفرهم! ، قال تعالى {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (42) فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
الْقَیْمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ

يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ { فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا
وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُورُ
مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (45) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن
تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ { وَإِنَّكُمْ
لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ } !

7 نزع الله الوجدانية والقهر من الخلق!! ، ففي
نزع الوجدانية ودلالاتها على التوحيد يقول
ربنا عز وجل {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا
مِمَّا تُثْنِي الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ}
{وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} !
، وفي نزع القهر يقول جل وعلا {لَقَدْ كَفَرَ
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ
فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
لَّوَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {وَلَا تَدْعُ مَعَ
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا
وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} .

الحجة السابعة/ النذر ، والآيات الست السابقة
يشارك فيها الخلق جميعا وكل واحدة منها كافية
في إقامة الحجة على العبد فكيف بإجتماعها ؟
، ولذلك كان من وقع في الشرك كافرا لقيام هذه
الآيات الست عنده فبمجرد وقوعه في الشرك يسمى
مشركا ويعامل معاملة المشركين ، إلا أن الله
بكرمه ورحمته وعظيم منته زاد حجة سابعة وجعل
مؤاخذه الخلق في الآخرة لا تكون إلا بعدها كما
في الحديث [لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ
أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ] ! ، فإرسال
الرسول زيادة منة من الله ولو شاء سبحانه أن يعذب
الناس -في الدنيا والآخرة- قبل أن يبعث إليهم
الرسول لما كان لهم ظالما قال تعالى {قُلْ لَوْ

شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} ، وإعلم أنه لا يشترط في إقامة هذه الحجة أن يأتي لكل مشرك نبي يكلمه ! ، بل يكفي في إقامتها عليه أن يبلغه خبر النبي ثم هو ملزم بالبحث عن الحق وإتباعه فإن أعرض عنه ولم يبالي به كان من أصحاب النار كما في الحديث [وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَهُودِيٍّ ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ] .

ولإرسال الرسل مقاصد عظيمة منها :-

- 1 + لتذكير بالآيات الست ! ، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام - أول الرسل- {يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ} وقال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم -خاتم النبيين- {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرُ} !
- 2 + لبشارة والندارة ! ، قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} .

- 3 + لشهادة على الخلق ! ، قال تعالى {وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ} .

- 4 قطع السنة المشركين بإبطال حجتهم وهذا من تمام ربوبية الرب عز وجل! {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ

الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا { قُلْ فَلِلَّهِ
الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } .
5 + لحكم بين الناس! ، قال تعالى {كَانَ النَّاسُ
أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثُ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ
وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} وقال {فَلَا وَرَبِّكَ لَا
يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا
يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا }

6 + نزال العقوبة على المشركين في الدنيا
قبل الآخرة! فإن الله إشتراط لإنزال العقوبة
الدنيوية إرسال النذر وإقامة الحجة على
المشركين بهم إذ سبق معنا أن تمام الحجة
من كمال الربوبية ، قال تعالى {وَمَا كَانَ
رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى
إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى
نَبْعَثَ رَسُولًا} {وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ
قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا
فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ وَنَخْزِيَ} {وَكَانَ
الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} ! ، والعذاب
للمشركين تتنوع صورته كما قال تعالى عن
قوم موسى {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ
حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ} وقال عن عاد قوم هود {فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لَّنُذِيقَهُمْ
عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ} وقال عن قوم
شعيب {وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ
اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ فَأَخَذَتْهُمْ
الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} وقال عن
قوم نوح {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا
عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجِرَ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي
مَغْلُوبٌ فَاَنْتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ
مِّنْهُمِمْ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ

عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ } وقال عن سبأ { فَأَعْرَضُوا
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ
بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ
مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ } وقال { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ
بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ
مِّن سَجِيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّاكُولٍ } ، قال جل وعلا
{ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ
حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ
خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } ،
{ وما يعلم جنود ربك إلا هو } ! ، ومن جنود
الله الذين يبعثهم على المشركين " أهل
التوحيد " ! فقد قال عز وجل { قَاتِلُوا الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ }
وقال { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ
وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ }
وقال { سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب
فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان
ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله
ورسوله فإن الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه
وأن للكافرين عذاب النار } وقال { فَإِذَا
انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ
وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ
مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } قال
عليه الصلاة والسلام متاولاً هذه الآية [أمرت
أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا
الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ،
ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك ، عصموا
مني دماءهم وأموالهم ، إلا بحق الإسلام ،
وحسابهم على الله] متفق عليه ، وسمى عليه
الصلاة والسلام خالد بن الوليد " سيف الله "

ودعا له فقال [اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِكَ
فانصره] .

وبذلك يتبين لك عظيم جرم المشرك كما قال
تعالى {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا
تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} وقال {وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ
الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} وقال {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي
فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى
(124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا
(125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ
الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ
يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} وقال
{وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُ مِنَ
الْخَاسِرِينَ (95) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا
يُؤْمِنُونَ (96) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} ، وقال {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا
هُزُوءًا} وقال {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ
سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ
بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}
وقال {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ
يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146) وَالَّذِينَ كَذَبُوا
بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} .

والشرك يقابل التوحيد ولذلك يدخل في أنواعه
الثلاثة " الربوبية " و " الألوهية " و " الأسماء
والصفات " ، وسنجد في هذه الرسالة أن عدداً من
النواقض التي ذكرها الإمام محمد رحمه الله راجعة

إلى هذا الناقض "الشرك" إلا أن الشيخ رحمه الله أفرد لها بالذكر لأهميتها ولعموم البلوى بها !

وقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك -كما سبق في الحديث- بـ [أن تجعل لله نداً] فكل ما كان من خصائص الله سواءاً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته فيجب إفراد الله لإفراد الله جل وعلا فيه قال تعالى {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} ، وكل من جعل لله ندا في شيء من خصائصه فقد أشرك .

والمصنف رحمه الله خص بالذكر هنا شرك العبادة الذي يناقض توحيد الألوهية وذلك أن عامة شرك المشركين فيه ! ، وقد مثل له رحمه الله بـ "الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو القباب" ، والذبح عبادة من أجل العبادات ، بل هو من ملة إبراهيم عليه السلام كما أخبر الله عز وجل عنه حين رأى في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام قال تعالى {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ} قال مجاهد : [ذبحه بمنى عند المنحر] فسنها للناس من بعده إلى يوم الدين ، وقد أمر الله عز وجل رسولنا صلى الله عليه وسلم بهذه العبادة فقال {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)} قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه السورة [والمقصود: أن الصلاة والنسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله ، وأجل العبادات المالية النحر ، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها من العبادات كما عرفه أرباب القلوب الحية ، وما يجتمع في النحر من حسن الظن والوثوق بما في يد الله أمر عجيب إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص ، وقد امتثل صلى الله عليه وسلم أمر ربه فكان كثير الصلاة

لربه كثير النحر له حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة ! ، وكان ينحر في الأعياد وغيرها .

وفيها: تعريض بحال الأبتى الشانى الذى صلاته ونسكه لغير الله ، وفيها: ترك الالتفات إلى الناس وإلى ما ينالك منهم بل صل لربك وإنحرا (الدرر السنية : 446/13) .

بقي أن ننبه هنا على صورة من صور شرك الذبح إنتشرت في زماننا هذا ألا وهي "ذبح التعظيم" للمخلوق ، وذلك بأن يذبح الرجل الذبيحة للمعظم لا يريد بذلك إطعامه وإنما يريد تعظيمه ، ومعلوم أن الذبح إنما شرع لتعظيم الله عز وجل كما قال تعالى {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَذَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} فكل ذبح أريد به تعظيم غير الله فهو شرك ولو ذكر إسم الله عليه ! ، ومن صورته: أن يذبح لمن لن يأكل منها ولكنه يذبح إظهارا للتعظيم كما يفعل كثير من الناس اليوم مع الأمراء والرؤساء وهذا ليس من الإكرام في شيء إذ الإكرام هو الإطعام ، ومن صورها أيضا أن يذبح الذبيحة بين يدي الرجل المعظم حتى يرى دمها وهو يسيل فإن هذا نوع تعظيم أما إن كان ذبحها أمامه بغير تقصد منه وإنما إتفق أن الضيف رآه وهو يذبح ذبيحته فلا حرج ، ومن عرف هذه الصورة من صور الشرك رأى كيف إستزل الشيطان كثير من الخلق حتى أوقعهم في الشرك الأكبر وهم لا يشعرون -والعياذ بالله- ، فعلى العبد أن لا يأمن على نفسه {فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} وهذا إبراهيم الخليل عليه السلام -إمام الموحدين!- يقول عنه ربنا عز وجل {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ} فمن يأمن على نفسه بعد إبراهيم !؟

وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه -سيد هذه الأمة!-
[الشُّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ فِي أَهْلِ الْقَبْلَةِ]
فقال: يا رسولَ الله فكيفَ أقولُ؟ قال: (قُلِ اللَّهُمَّ
إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ
لَمَّا لَا أَعْلَمُ) [أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد
.

والحمد لله رب العالمين ..